

مرجليوث . قال بعد أن سرد ترجمة التنوخي تفلأعن معجم الأدباء لياقوت الحموي : « وأول مجلد منه نشرناه في سنة ١٩٢١ م عن نسخة في مكتبة باريس العمومية . وبذل البحثة الشهير أحمد باشا تيمور جهده في تفسير ما ورد فيه من الغريب ، فنشر ثمرات أفكاره في المجلدين الثاني والثالث من مجلة مجمعنا العلمي العربي في دمشق ، وقد أخبرنا أن عنده نسخة من الجزء الثاني » . ونشر بعض الثالث في مجلة المجمع العلمي العربي بعد نشرها الثامن^(١) . هذا ، وقد ذكره بعنوان « نشوان المحاضرة وأخبار المذاكرة » - ابن خلكان^(٢) . ونقل عنه هذه اللفظة صاحب شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن المهدي الحنبلي في حوادث سنة ٣٨٤ هـ ، وهي سنة وفاة التنوخي . ونقل عنهما الحاجي خليفة في كشف الظنون تلك اللفظة ، إذ وضع اسم الكتاب في مادة النون . والكتاب الثالث هو كتاب المستجاد من فعلات الأجواد ، لم يذكره سوى ابن خلكان ، ونقل عنه صاحب شذرات الذهب . وقد طبع الكتاب حديثاً طبعة حجرية نشره ليوبولي Leo Pauly في شنتجارت سنة ١٩٣٩ م ، طبقاً للمخطوطة الأصلية في ٢١٥ صفحة فيها الفهارس كاملة زيادة على ست وعشرين صفحة للمقدمة الألمانية . وقد علمت بأن نسخة خطية منه يملكها الملا صابر بكر كوك . وقد طالمت طائفة من أخباره فوجدته بديماً لا يقل أسلوباً عن الكتب الأخرى المذكورة آنفاً والشائمة بين القراء والتتبعين . إن أول من ترجم التنوخي على ما يستوجب سياق التاريخ هو هلال بن الحسن الصابي في تاريخ بغداد الذي وصل به تاريخ ثابت بن سنان ، ثم الثعالبي صاحب تيممة الدهر المتوفى سنة ٤٢٩ هـ حيث قال عنه بعد أن تكلم عن أبيه : « هلال ذلك القمر ، وغصن هاتيك الشجر ، والشاهد العدل لمجد أبيه وفضله ، والفرع الثميل لأصله ، والنائب عنه حياته ، والتأتم مقامه بعد وفاته ... وله كتاب « الفرج بعد الشدة » ، وناهيك بحسنه ، وإمتاع فنه ، وما جرى من الفأل يمينه ، لا جرم أنه أسير من الأمثال ، وأسرى من الخيال ... أخبرني أبو نصر سهل بن المرزبان أنه رأى ديوان شعره ببغداد أكبر

أشهر الكتاب إلا بمخاضه المعرفيين في القرن الرابع الهجري

القاضي التنوخي

للأستاذ يوسف يعقوب مسكوني



يسرني أن أبدأ لك - أيها القاري العزيز - بسرد حياة هذا القاضي الحجفة ، الكبير الهمة ، الشاعر الفحل ، والمحقق العدل ، والأديب الأريب ، العالم ابن العالم ابن الحسب والنسب من آل تنوخ الكرام

أما الذين ترجموه من المصور المتأخرة ، فقد رووا عنه أخباراً جميلة ، وعددوا مؤلفاته التي لم نحصل منها - وبالأسف - إلا على ثلاثة : أولها كتاب « الفرج بعد الشدة » ، ذلك السفر الشحون بأخبار الأولين وكلها أفاصيص وحكايات واقعية تنبئ عن المآثر التي خلدت في عز العرب والإسلام . ترجمه إلى التركية لطف الله بن حسن التوفاني^(١) المتوفى سنة ٩٠٠ هـ . وقد طبع الكتاب طبعتين : الأولى طبعة الهلال للمرحوم المؤرخ جورجى زيدان سنة ١٩٠٣ م . والثانية طبعة المكتبة العلامة بجوار الأزهر بمصر لصاحبها عبد القادر علام سنة ١٩٣٨ م . وأما ثانياً ، فهو كتاب « جامع التواريخ » المسمى « نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة » ، وهو أحد عشر مجلداً على مارواه ياقوت في معجم الأدباء اشترط فيه أنه لا يضمه شيئاً نقله من كتاب . كل مجلد له فاتحة بخطه . وقال غرس النعمة محمد بن هلال الصابي العلامة المؤرخ المشهور : صنف أبو علي الحسن كتاب « نشوار المحاضرة » في عشرين سنة أولها سنة ستين وثلاثمائة . وقد ذبله غرس النعمة بكتاب سماه كتاب « الربيع » قال : ابتدأه سنة ثمان وستين وأربعمائة^(٢) . هذا ولم يحصل عالم الطبع منه إلا على جزئين وبعض جزء ثالث . فالأول قام بطبعه المستشرق العلامة مرجليوث ، وطبع الجزء الثامن منه بدمشق سنة ١٣٤٨ هـ (١٩٣٠ م) بإرشاد الأستاذ

(١) لا يزال ينتشر في المجلة المذكورة

(٢) ابن خلكان ج ١ ص ٥٥٤ ط بولاق

(١) كشف الظنون للحاجي خليفة ج ٤ ص ٤١١ ط أوروبا

(٢) معجم الأدباء لياقوت الحموي ج ١٧ ص ٩٢ ط بخار للأون .

حجماً من ديوان شعر أبيه ، وأن بعض العوائق حال بينه وبين تحصيله ، حتى فاته واشتد الأسف عليه ، ولو تقدر له استصحابه كسائر الدواوين البديعة ، لكنت أتفصح في الانتخاب منه . ولكني الآن مقل من شعره ، وسيقع لي ما أتكثر به ، وألحق المختار منه بمكانه من هذا الباب بمشيئة الله تعالى وعونه ، وفيه يقول أبو عبد الله بن الحجاج :

إذا ذكر القضاة وهم شيوخ تخيرت الشباب على الشيوخ (١)

ومن لم يرض لم أصفه إلا بحضرة سيدي القاضي التنوخي وذكره بعدها الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ

في كتابه تاريخ بغداد ، عده محدثاً ببغداد وعدد نسبه وحدد تاريخ مولده ووفاته إذ قال : « المحسن بن علي بن محمد بن أبي فهم أبو علي التنوخي القاضي بن القاضي ، ولد بالبصرة وسمع بها من واهب ابن يحيى المازني وأبي العباس الأشرم ومحمد بن يحيى الصولي والحسن بن محمد بن عثمان النسوي وأبي بكر بن داسة وأحمد بن عبد الصغار وطبقهم وزل ببغداد وأقام بها وحدث بها إلى حين وفاته . وكان سماعه صحيحاً أديباً شاعراً أخبارياً . أخبرنا عنه ابنه أبو القاسم علي ، أخبرنا التنوخي حدثنا أبي - من لفظه وحفظه ومن أصله - حدثنا واهب بن يحيى بن عبد الوهاب المازني البصري - بها من حفظه - قال التنوخي وحدثنا إدريس بن علي المؤدب ؛ ورفع الإسناد إلى مسلمة بن مخلد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة . ومن فك عن مكروب فك الله عنه كربة من كرب يوم القيامة . ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته » قال لي التنوخي قال قال لي أبي : مولدي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بالبصرة .

قال وكان مولده في ليلة الأحد لأربع بقين من شهر ربيع الأول وأول سماعه في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة . وأول ما تقلد القضاء من قبل أبي السائب عتبة بن عبد الله بالقصر وبابل وصور (٢) في سنة تسع وأربعين . ثم رلاه المطيع لله القضاء بمسكرم ومريزج ورامهرمز . وتقلد بعد ذلك أعمالاً

(١) بنية الدهر للشمالي ج ٢ ص ٣١٩ ووفيات الأعيان ج ١ ص ٥٦٣ و ٥٦٤ ط بولاق .

(٢) وفي تاريخ آخر سوراً وهو الصحيح كما سند ذكره

كثيرة في نواح مختلفة ، وتوفى ببغداد في ليلة الإثنين لخمس بقين من المحرم سنة أربع وثمانين وثلاثمائة (١) . أما من ذكره بعدهم فهم أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي صاحب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم المتوفى سنة ٥٩٧ هـ ، فذكر نسبه ومولده وسماعه وتحديثه وأول سماعه الحديث وتقليده القضاء كما أسلفنا ، ثم ذكر أيضاً وفاته كما ذكر سلفه الخطيب البغدادي (٢) . وقد ذكره ابن الأثير في كتابه الكامل في حوادث سنة ٣٧١ هـ .

ونقل أن عضد الدولة قبض عليه وألزمه منزله وعزله عن أعماله التي كان يتولاها ، وذكره أيضاً في وفيات سنة ٣٨٤ هـ . وهي سنة وفاته سارداً تاريخ مولده أيضاً . قال وكان فاضلاً (٣) . وقد ذكر التنوخي في كتابه (الفرج بعد الشدة) أنه كان على العيار في دار الضرب بسوق الأهواز سنة ست وأربعين وثلاثمائة ، وذكر

بعد ذلك بقليل أنه كان على القضاء بجزيرة ابن عمر . وذكر ابن تفرى بردى صاحب النجوم الزاهرة المتوفى سنة ٨٧٤ هـ أنه تقلد القضاء بسر من رأى يشبه سوراً . قال : وكان أديباً شاعراً (٤)

والذي عرفنا - أسباب توليته القضاء وعزله - ياقوت الحموي في كتابه المعروف بإرشاد الأريب في معرفة الأديب - أعنى - معجم الأدياء وذلك بإسهاب يصعب علينا استيعابه فنختصره وتقول : « قال بعد ذكر نسبه ومولده سنة تسع وعشرين وثلاثمائة بخلاف ما ذكره الخطيب البغدادي وابن الجوزي صاحب المنتظم وهما أسبق من ياقوت وذكر وفاته أيضاً من دون خلاف ، وذكر تأليفه كما ذكرناها آنفاً : ولي القضاء بواسطة وكان بها متولياً سنة ثلاث وستين وثلاثمائة . وقال في موضع آخر من كتابه نشوار المحاضرة : حضرت أنا مجلس أبي العباس أبي الشوارب قاضي القضاة إذ ذاك وكنت حينئذ أكتب له على الحكم والوقوف بمدينة السلام مضافاً إلى ما كنت أخلفه عليه بتكريف

(١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١٣ ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(٢) المنتظم لابن الجوزي ج ٧ ص ١١٧ ط حيدر آباد .

(٣) الكامل لابن الأثير ط ليدن ج ٩ ص ١١ ، ٢٤ .

(٤) الفرج بعد الشدة للتنوخي الطبعة الأخيرة ج ١ ص ٢٢ . كذلك

النجوم الزاهرة لابن تفرى بردى ج ٤ ص ١٦٨

بما دعاه إلى أن قلدي عملاً بسقي الفرات . وكنت أأزم الوزير
أبا محمد وأحضر طعامه ومجالسائه . واتفق أن جلس يوماً مجلساً
عاماً وأنا بحضرته وقيل : أبو السائب في الدار ، قال : يدخل . ثم
أوماً إلى بأن أتقدم إليه ، فتقدمت ومدّ يده ليسارتي فقبلتها ، فمدّ
يدي وقال ليس بيننا سر ، وإنما أردت أن يدخل أبو السائب
فيراك تسارتي في مثل هذا المجلس الحافل فلا يشك أنك معي
في أمر من أمور الدولة فيرهبك ويحشمك ويتوفر عليك ويكرمك
فإنه لا يجيء إلا بالرهبة ، وهو ييفضك بزيادة عداوة كانت
لأبيك ، ولا يشتهي أن يكون له خلف مثلك . وأخذ يوصل معي
في مثل هذا الفن من الحديث إلى أن دخل أبو السائب . فلما رآه
في سرار وقف ولم يجب أن يجلس إلا بعد مشاهدة الوزير له تقريباً
إليه وتلفظاً في استمالة قلبه ، فإنه كان في ذلك الوقت فاسد الرأي
فيه . فقال لأبي السائب يجلس قاضي القضاة ، وسمعه الوزير
فرفع رأسه وقال له اجلس يا سيدي ، وعاد إلى سراري وقال لي :
هذه أشد من تلك ؛ فامض إليه في غد فستري ما يعاملك به .
وقطع السرار وقال لي ظاهراً : قم فامض بما أفذتك فيه وعدّ
إلي الساعة بما تعجله ، فوهم أبا السائب بذلك أننا في مهم . فقامت
ومضت إلى بعض الحجر وجلست إلى أن عرفت انصراف
أبي السائب فكاد يحملني على رأسه وأخذ يحدثني بضراب من
الحداثة والمباسة وكان ذلك دهنراً طويلاً (١)

(البقية في العدد القادم) برهمن يعقوب مسكوني

(١) معجم الأدياء لياقوت الحموي ج ١٧ ص ٩٣ ، ٩٥ ، ٩٧ ط .
دار الأمان

ودقوقاً (١) وخانينجار (٢) وقصر ابن هبيرة (٣) والجامعين (٤) ،
رسوداً (٥) وبابل (٦) والإينارين (٧) . وخطريئة (٨) وذكر قصة .
وذكر في موضع آخر - جاء قبلاً منقولاً عن الخطيب البغدادي -
أنه كان يتقلد القضاء بمسكرم مكرم (٩) في أيام المطيع لله ،
وعز الدولة بن بويه . وقد ذكر أبو الفرج الشلجي (١٠) أنه تقلد
القضاء بالأهواز نيابة عن القاضي أبي بكر بن قريعة . قال
أبو الفرج : وحدثني أبو علي التنوخي القاضي قال : لما قلدي
القاضي أبو بكر بن قريعة قضاء الأهواز خلافة له كتب إلى
المعروف بابن سر كس الشاهد ، وكان خليفته على القضاء قبلي
كتاباً على يدي وعنوانه : إلى المخالف الشاق ، السوء الأخلاق ؛
الظاهر النفاق ، محمد بن إسحاق . وقال ياقوت أيضاً : قرأت
في كتاب الوزراء لجلال بن المحسن : حدث القاضي أبو علي قال :
نزل الوزير أبو محمد المهدي السوس (١١) فقصدته للسلام عليه
وتجديد العهد بمخدمته ، فقال لي : بلغني أنك شهدت عند ابن سيار
قاضي الأهواز قلت نعم . قال : ومن ابن سيار حتى تشهد عنده
وأنت ولدي وابن أبي القاسم التنوخي أستاذ ابن سيار ؟ قلت :
الآن في الشهادة عنده مع الحداثة جالاً - وكانت سني يومئذ
عشرين سنة - قال وجب أن تجي إلى الحضرة لأتقدم إلى
أبي السائب قاضي القضاة بتقليدك عملاً ثقيل أنت فيه شهوداً
« قلت ما فات ذلك إذا أنعم سيدنا الوزير به ، وسبيلي إليه الآن
مع قبول الشهادة أقرب . فضحك وقال لمن كان بين يديه :
أنظروا إلى ذكائه كيف اغتتمها ؟ ثم قال لي أخرج معي إلى بغداد .
قبلت يده ودعوت له . وسار من السوس إلى بغداد . ووردت إلى
بغداد في سنة تسع وأربعين وثلاثمائة ، فتقدم إلى أبي السائب في

(١) مدينة بين إربل وبغداد .

(٢) فتحها هاشم بن عتبة بن أبي وقاص بأمر سعد عمه « رضي »

(٣) القريب من جسر سواد المذكورة لاصور كما ذكرت في كتاب
الخطيب البغدادي .

(٤) حلة بني مزيد التي بأرض بابل على الفرات بين بغداد والسكوفة .

(٥) موضع بالعراق من أرض بابل وهي مدينة السريانيين .

(٦) إسم ناحية قرب الحلة .

(٧) إسم لمدية ضباب من كور أوغرت لمبسي ومقل ابن أبي دلف السجلي

(٨) ناحية من نواحي بابل العراق .

(٩) بلد مشهور من نواحي خوزستان منسوب إلى مكرم بن مزاء

صاحب الحاج بن يوسف .

(١٠) نسبة إلى شلج قرية قرب عكبرا تخرج منها أبو الفرج هذا واسمه

محمد بن محمد بن سهل الشلجي .

(١١) بلد بخوزستان فيها قبر دانيال النبي عليه السلام .

إعلان مزايمة

يطرح مجلس السوس المحلي في
المزايمة العامة تأجير ثلاث غرف تبريد
وغرفة مكتب لمدة ثلاث سنوات من
أول نوفمبر سنة ١٩٤٢ وتطلب الشروط
من المجلس نظير ١٠٠ مليم وتحدد شهر
يوم أول سبتمبر سنة ١٩٤٢ لفتح
المظاريف بالمجلس .

٩٦٣٩